العمل

٣١ آب ١٩٤٩

آذان القمم

ليس الأستاذ ميشال شيحا، وهو أحد اعلام الأدب الرفيع في لبنان والإقتصادي المعروف، والمالي المحنك، معارضاً من المعارضين. وليس في مقدور أي سياسي من سياسيي الدولة وأبواقها إتهامه بالرغبة في وظيفة أو في مكانة، أو في مقام مهما ارتفع. فهو يوم يرفع الصوت فإنما يرفعه لأن الكيل يكون قد طفح حقاً.

ولقد أدى الأستاذ ميشال شيحا، في عدد "اللوجور" الصادر بتاريخ ٢٧ آب حكماً على الأوضاع الأخلاقية في الدولة كان يكفي وحده لقلب الحكومة لو كانت البلاد تعيش حياة "ديموقراطية صحيحة" ، ولو كان الرجال عندنا يتفهمون أساليب الحكم الديموقراطي تفهماً سليماً.

هال أديبنا تنكيل الموظفين بالأحرار، وهاله تنكيل السلطات بالموظفين فلم يتمالكمن الجهر بما عدّه واجباً لوضع حد للشاذ من التصرفات فعسى أن يكون لصوت الأستاذ شيحا حظ فوق حظنا وفوق حظ سائر الأحرار في البلد، هؤلاء الذين بحّت حناجرهم قبل أن يوفقوا لإيصال ندائاتهم الى الأسماع. نقول عسى أن يكون لصوت الأستاذ شيحا حظ فوق حظكسائر الأصوات ! ونحن واثقون بأن صوته لن يُسمع !

الأستاذ شيحا الذي يعرف أنه ينبغي في السياسة الانتماء الى الحقيقة لا الى رجل أياً كان.

وإن الأشخاص هنا ينتمون الى الأشخاص فلا يدافعون عن فكرة أو عن مبدأ، أو عن عقيدة أو عن منهاج، أو عن قاعدة حياة. بل عن سيد لا يتحلى بخلق الأسياد.

وإن أخطر تهمة يمكن توجيهها الى الفكرة التي غدت فكرة الدولة عندنا، هي أن هذه الفكرة تخضع اللإدارة الى أشخاص هم أشبهما يكونون بمعتقي الرومانيين، وإن الموظفين يعيشونبالخوف، الخوف منالاستيداع، الخوف من الطرد، الخوف من عدم الترفيع. إذ أن الموظف الذي يقولون له علانية أنه حرّ التصرف يعرف أن مصيره هو واحد من هذه المصاير المتقدمة اذا ما تحرر حقاً من التوصيات ومن التهديد.

الأستاذ شيحا الذي يعرف أن هذه الحالة تفضي الى التدهور المحتوم، "وإن الذين يصطنعون الصحو والشتاء في الدولة هم خمسة أو ستة أشخاص يصطنعونه مباشرة أو بواسطة عملائهم وإن موظفين كثيرين أصبحوا في وظائفهم ظلال ما كان ينبغي أن يكونوا، وأنه من العبث إصلاحالدولة ما دامت التصرفات هي هذه"..

الاستاذ ميشال شيحا الذي يعرف كل هذه الأمور يعرف أيضاً : "ان لا تبدل الاّ إذا صدر التبدل عن القمة حيث السلطة المسؤولة، والاستاذ شيحا ينتظر أن يصدر هذا التبدل عن تلك المناطق (حيث صار التسويف والنصام هما الناموس) ينتظر بصبر وبفارغ صبر".

إن هذا الشعور الذي أعرب عنه الأستاذ ميشال شيحا في عدد "اللوجور" الصادر بتاريخ ٢٧ آب هو شعور الأمة بأجمعها، هو الشعور الذي طالما عبرت عنه بواسطة كبار قادتها وبواسطة هيئاتها السياسية واحزابها. والذي تعبّرعنه اليوم المعارضة التيراحت تأتلفوتتحدعلى رغم تباين تفكير بعض رؤسائها علماً من هؤلاء

الرؤساء ويقيناً أن كل مستحدث أياً كان شرّه أهون على الأمة مما هو كائن. ويذهب اليأسوالقرف ببعضهم الى الاعتقاد أن الفوضى الصريحة نفسها قد تكون أهون وقعاً على الأمة من الشرّ المنظم.

لا ، إنه لا يجوز هدم بلاد برمتها إرضاء لشهوة أشخاص لا يجاوز عددهم ولو طال ، الخمسة أو الستة.

فهل تسمع القمم هذه المرة والناصح من الزاهدين في المناصب والمراتب والحكم ؟

هل يجد الأستاذ ميشال شيحا لصوتهآذاناً مصغية وعقولاً واعية وضمائر متيقظة ؟ أم ترانا سنجده يردد غذاً مع الأمة التي تردد منذ عهد بعيد :

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

العمل